ما بعد المقال الخامس

ثار أعلام منهم شيخ المحامين الأستاذ مصطفى مرعى والمستشار أحمد سليمان إلى متى تكتبين وتتمزقين دون رد من الحكومة ؟ إنك تدفعين الثمن غاليا ، وندفنه معك باحتجاب كتابتك الأدبية والحضارية ـ التى توقفت من أجل خوض هذه المعركة ـ ولم تكن كتاباتى الأدبية وحدها هى الضحية .. لقد جمدت كل شىء حتى كتبى التى فى المطبعة .. حتى أسفارى خارج مصر وكان ردى أن الكاتب فى عصور الضياع لا يمكن أن يخلد ويخلو إلى برجه العاجى هانئا به .. إن الكاتب ضمير شعبه ونبضه ، ولا يملك أن يرى النزيف ولا يحرك ساكنا ، أو يحرك ليكتب فنا .. لابد أن تكون حروفه نارا يصلاها الجناة ومع تصميمى على الاستمرار فى اقتناع كامل إلا أننى فى الوقت نفسه فكرت فى تحريك المعركة إلى ساحات أخرى تضاعف التأثير أو تعين عليه .. فكتبت فى جريدة الشعب فى العدد الذى صدر فى ٨٦/١٠/٧ كلمة موجزة مركزة مشحونة ، بديلا من المقال الكبير الذى دأبت على كتابته .. هذه الكلمة بعنوان :

الجولة الثانية

حين تكون للوطن قضايا كبرى .. وحين تكون القضايا الكبرى ، كوارث كبرى ،، تتعدد ساحات الجهاد ، من صحافة (أقصد صحافة الرأى وهيئات علمية وجامعات ونقابات ، وأحرار مفكرين وكتاب ومجلس شعب .. ورأى عام يحسب حسابه ، ويرهب جنابه وهو فى بلدنا يهب فجأة .

وعادة تكون الصحافة بحكم الانتشار الواسع والسريع ، الجولة الأولى ..

وقد غطينا الصحافة تغطية كاملة موثقة محققة و أن الاستعداد للجولة الثانية .

عندى الكثير لهذه الجولة التى تتطلب مع الحقائق والوثائق طرحا جديدا من الكشف والمواجهة لا تستثنى أحدا أو موقعا .

أيام معدودات وتبدأ الجولة الثانية إلا أن يستيقظ أهل الجمود الذين تحسبهم أيقاظا وهم رقود فى بلد أقسم ألا ينام وألا يضام ، وهو يعرف أعداءه فى الداخل والخارج ، ويعرف كيف يتعامل معهم فى وضح النهار ولو كانوا فى بروج مشيدة أو حشود مجندة .

موعدنا الجولات القادمة التى نحتشد لها ، ونعد ، لها ، واحدة بعد الأخرى فى إصرار لا يلين ، واثقين فى الله (ولينصرن الله من ينصره) .

وعلى الرغم من هذا التأكيد على الاستمرار انزعج الكثيرون عندما قرءوا هذه الكلمة .. وانهمرت الأسئلة هل اكتفيت بهذا ؟ هل سأعود إلى الكتابة ؟ هل سأتوقف ؟ هل ضغط علىّ أحد ؟ وهذا أمر كان السائل قبل أن أرد ، يسارع فيستبعد بنفسه ويدفضه .

ولكن وقع هذه الكلمة على الحكومة كان شيئا مختلفا وكبيرا .. خشيت تحرك الجامعات والنقابات الواردة فى كلمتى . وكان إبراهيم الإبراهيم أشد خوفا ورعبا ، فهرب إلى أمريكا ، ومن هناك استدعته الكويت لما جاء فى هذا المقال من ذكر الذين استقطبهم فى الكويت .

وهنا نطقت الصحف الحكومية بعد الصمت الثقيل والوبيل .. حلت عقدة لسانها وأعلنت استبداله بغيره مرة واستقالته مرة أخرى .

وهى شهادة على صدق ماكتبناه ..

وكم أشرف بشهادات الصدق .. ومع هذا كنت أتمنى أن أكون مخطئة إذا كان الخطأ فى صالح مصر .

سقط إبراهيم الإبراهيم كما يسقط فى النهاية كل أفاق .. ولكنه فى الحقيقة تفوق على سائر الأفاقين ، فقد وجد فى نفسه من الجرأة والصفاقة معا ما يزعم معه البطولة والفتوحات الاقتصادية ، بل التضحية من أجلنا !!

وهكذا سمح للساقط من الكرسى أن يتظاهر بالاستقالة ، بل واستقالة مسببة يلبس فيها مسوح الرهبان ويقول :

إن موجودات البنك قد تضاعفت ثمانى مرات ، كما تمت زيادة رأس مال البنك وزيادة فروعه ونشاطاته ، وبلغت أرباحه على معدل رأس المال خلال هذه الفترة أكثر من ١٣٠ ٪ !!!

وأن الجهود التى كان يبذلها لم تكن لتروق للبعض !! حيث كانت تثير حفيظتهم ،كما كانت تملؤهم الرغبة فى

إبعاده عن موقع المسئولية ، وذلك من خلال ما تعرض له شخصيا من حملات تشكيك شنتها عليه بعض صحف المعارضة ، وأنه من موقع المسئولية والحرص على المصلحة العامة ، وتجنبا للتوتر ، ولاصطناع مواجهات فإنه يرفع استقالته راجيا قبولها] .

كذب وادعى ..

هذا الذى بغى وطغى ، وسلب وثلب ، ونهب وتبجح ، وقال يوما ، إنه لو أراد أن يبنى قصرا فى ميدان التحرير لفعل !! وضحكت مصر الواثقة بربها ، والواثقة بنفسها ، وأضاء بالبهجة وجهها النبيل .. وضحك العالم أيضا ..

أغرقت مصر التى تعرف مصير شانئيها ، فى الضحك .

ويضحك كثيرا من يضحك أخيرا .